

معالم الدولة الجزائرية الحديثة في ظل السلطة العثمانية

د. حميد أيت حبوش*

الملخص:

تتناول هذه الدراسة إنضمام الجزائر إلى الخلافة العثمانية وما ترتب عنه من آثار على كل المستويات، إذ شهد ميلاد دولة جزائرية جديدة ممتدة تقريبا على نفس الحدود الجغرافية التي تمتد عليها الآن، كما برزت الشخصية الجزائرية، وإكتساب مكانة وهيبة دولية من خلال وجود سلطة مركزية برئاسة الداي الذي هو رئيس الدولة الجزائرية والقائد العام للجيش، كذلك وجود تمثيل دبلوماسي وعقد المعاهدات والإتفاقيات بإسم إيالة الجزائر.

كما تتناول الدراسة العلاقة بين الجزائر والدولة العثمانية التي تتميز بتبادل المنافع وتضامن في مواجهة العدو المشترك، وقد إختلفت العلاقة بإختلاف مراحل الحكم العثماني بالجزائر، حيث تحكمت فيها الظروف الإقليمية والدولية، فقويت بقوة الدولة العثمانية وضعفت بضعفها.

Abstract:

This study deals with the accession of Algeria to the Ottoman Empire, and the resulting, as witnessed almost the birth of a new Algerian state extended boil the same geographical boundaries that extend them now, as emerged Algerian personal, gain prestige and international prestige by the presence of a central authority, headed by (day), who is the head of state Algerian and commanding

*- أستاذ باحث في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 1، الجزائر.

general of the army, as well as the existence of diplomatic representation and Concluded treaties and agreements on behalf of regency Algiers.

The study also addresses the relationship between Algeria and the Ottoman Empire, which is characterized by the exchange of utility and solidarity in the face of a common enemy, and the relationship may differ across phases of Ottoman rule in Algeria, where regional and international conditions controlled, strongly weakened the Ottoman Empire and its weakness.

مقدمة:

لقد إتسمت العلاقات بين الجزائر والدولة العثمانية بالتعاون المتبادل، تمثلت في المساعدة العثمانية للجزائر في بداية تشكيل الدولة الحديثة من جهة، ومساعدة الدولة الجزائرية للدولة العثمانية في حروبها مع أوروبا من جهة أخرى، حيث عمل الأسطول الجزائري منذ عهد خير الدين بربروس وعلى مدى ثلاثة قرون، على دعم الأسطول العثماني في العمليات العسكرية الكبرى أهمها معركة لبانت سنة 1571م ومعركة نفارين 1827م.

غير أن هذه العلاقات عرفت نوعا من الفتور مع تطور الأحداث الإقليمية والدولية وبدأت تضعف أو تتراجع شيئا فشيئا ولم تعد كما كانت عليه في السابق، وبدأ الفكر الإستقلالي يتبلور لدى الحكام الجزائريين ليتجسد في عهد الدايات، وإقتصرت العلاقة على ضرب الولاء والطاعة للسلطان العثماني دون المساس بالسلطة المعنوية والروحية للسلطان بإعتباره خليفة المسلمين، وتمتعت الدبلوماسية الجزائرية بصلاحيات واسعة في إتخاذ القرارات السياسية، فتعلن الحرب وتبرم السلم وتمضي المعاهدات دون إستشارة الباب العالي.

1- ظهور نظام الدايات:

إن ظهور نظام الدايات يمثل إنتصارا لقادة الجيش البحري أورياس البحر على قادة الجيش البري أو الإنكشاريين في إطار التنافس الحاد بين القوتين الذي تعود بدايته إلى عهد البايلىبايات.

أما عن نظام الحكم الذي كان سائدا في الجزائر آنذاك، فهناك من يقول أن الجزائر كانت جمهورية عسكرية، يعين رئيسها بواسطة الإنتخاب¹، ويذكر آخرون أنها كانت مملكة².

والواقع أنها لم تكن هذه ولا تلك، وإنما تحكم بنظام من نوع خاص، لم يعرف في أي بلد آخر وأهم مميزاتة أنه كان يجمع بين الصبغة المدنية والعسكرية³، وأنه كان حكما جماعيا شوريا في القمة، وفرديا مطلقا في القاعدة، التي تبدأ من البايات وتشمل أعوانهم والقياد والمشائخ.

ورئيس الدولة هو الداى⁴ الذي كان عبارة عن منفذ أمين، مهمته تطبيق القوانين المدنية والعسكرية وتنظيم الجيش، ومراسلة القبائل المختلفة ورؤساء الدول للحفاظ على الأمن في الداخل وفي الخارج، كما أنه كان يشرف على المالية وعلى التنظيمات الإدارية الضرورية لها بالإضافة إلى أنه كان يعين الوزراء⁵ وغيرهم من رجال حاشيته⁶.

ويستمد الداى سلطاته من الديوان أو مجلس الشورى كما يسميه البعض⁷. ويتكون هذا المجلس من حوالي ستين بولكباشي⁸.

ولا يمكن أن يعين الداى أو ينصب إلا من طرفهم وبحضورهم، حتى ولو كان الباب العالي هو الذي أرسل القفطان والفرمان⁹.

2- معالم الدولة:

أ. المعالم السياسية:

عرفت الدبلوماسية الجزائرية نوعا من الإستقلالية عن الباب العالي، حيث تمتع الداي بصلاحيات واسعة في عقد الإتفاقيات وإعلان الحرب وعقد الصلح، بالشكل الذي يراه مناسبا، ولا يبعث إلى السلطان إلا من باب إعلامه بما يحدث، حتى لاتنقطع الرابطة المعنوية التي كانت تجمع الإيالة بالدولة العثمانية.

وقد إستطاع الدايات بفعل تمكنهم من هذه المهمة، ضبط العلاقات الخارجية بشكل يتلائم من جهة مع تبعيتهم للدولة العثمانية، ويتلائم من جهة أخرى مع الخصوصية التي تمتعت بها الجزائر كقوة كبيرة في غرب المتوسط، ويتفق من ناحية ثالثة مع طبيعة التجاذب والصراع على مستوى المنطقة كلها¹⁰.

ومما زاد في إستقلالية الجزائر وحكامها، أن الدايات أصبحوا يعتبرون أنفسهم كحلفاء للباب العالي فقط، فهم لايتعاملون مع الدول الأوروبية بإسم القسطنطينية، بل يتصلون بالأوروبيين مباشرة¹¹ بإسم الجزائر، دون إعتبار لمصلحة الباب العالي، كما أن ممثلي الدول الأوروبية لدى الجزائر وإيالات الغرب الأخرى (طرابلس الغرب وتونس) أصبحوا يتجاهلون السيادة العثمانية في تعاملهم مع هذه الإيالات، ولاسيما ممثل فرنسا الذي أصبح يلقب منذ بداية القرن التاسع عشر بالملكف بالأعمال، وهذا ما جعل العلاقة بين فرنسا والجزائر تكتسي صبغة خاصة¹².

ويظهر لنا مدى إستقلال الكيان الجزائري عن الدولة العثمانية في إلغاء منصب الباشا الذي فرضه السلاطين على الدايات، سنة 1711م، عندما منع

الداي علي شاوش، إبراهيم باشا مبعوث الباب العالي من دخول الجزائر بحجة تسببه في إثارة القلاقل¹³.

ونجح علي شاوش بالفعل في الحصول على لقب الباشا من السلطان بفضل الهدايا وسياسة المروايع، مما زاد في تدعيم إستقلال الجزائر عن الإمبراطورية العثمانية¹⁴.

ونفس الشيء حدث مع الداي عبيدي باشا إذ أصبحت العلاقة مع الباب العالي أيضا علاقة محدودة، فقد أرسل السلطان مسئولا ليتولى المنصب الشرفي حتى يستعيد نفوذه، ولكن عبيدي باشا خيب آماله ومنع المندوب من النزول¹⁵، وقد قاوم حتى وساطة الباب العالي في المشاكل الخارجية بإعتبار ذلك تدخلا في مشاكل الجزائر الداخلية، فرفض وساطة الدولة العثمانية من أجل الصلح مع إسبانيا عام 1725م وعام 1726م، كما رفض تسليم المتمرّد شركس محمد لمبعوث السلطان¹⁶.

كما قاوم الداي في عام 1729م محاولة السلطان عندما أرسل مبعوثا خاصا وأضفى عليه لقب الباشاوية، ورفض نزوله وظل راسيا في رأس ماتيفو دون الحصول على أي نتيجة فأرغم على الإنسحاب والرجوع إلى إسطنبول¹⁷، بل وأكثر من هذا، فكم من مرة ردّ دايات الجزائر بعنف على مبعوثي السلاطين العثمانيين، بل وقنبلوا سفنهم عند مغادرة ميناء الجزائر¹⁸، ومنذ ذلك الوقت صار دايات الجزائر يحصلون على فرمان التعيين في منصب الداي ولقب الباشا من السلطان مقابل الإعتراف بالسلطة الروحية والشرعية للسلطان العثماني على المسلمين، وهذا ما جعل صلاتهم بإسطنبول لا تحمل أي معنى للتبعية، في ذلك يقول: "أندري ميكال": "أن جزائر القرن الثامن عشر القوية قد استدارت بظهرها لتركيا"¹⁹.

ويمكن أن نذكر في هذا السياق ما حدث سنة 1817م حيث قرر علي خوجة التخلص من سيطرة الأوجاق الذين كانوا يعتبرون آخر ما يربط الباب العالي بالجزائر، فغادر الجينية وانتقل إلى القصبة²⁰، مستعينا بالكراغلة وزواوة وأشركهم في الحكم، وأعاد عددا من الجنود الأتراك إلى اسطنبول، فعرفت بذلك الجزائر تحولات سياسية جذرية في نظام الحكم، وانحلت بذلك أواصر العلاقات الودية بين السلطان وحكومة الجزائر، غير أن هذه المحاولة كانت متأخرة ولم يكتب لها الاستمرار لوفاة علي خوجة بالطاعون في يوم 22 مارس 1818م²¹.

ورغم ذلك ظلت العلاقة بين الجزائر والدولة العثمانية مستمرة لحاجة الجزائر إلى الأوجاق، ولعل هذا ما حال دون القطيعة مع السلطة العثمانية²². وقد لعبت الدولة العثمانية دور الوسيط في الصلح بين الجزائر وتونس²³، كما كانت الجزائر خير سند للسلطان في حروبه، حيث شارك الأسطول الجزائري إلى جانب الأسطول العثماني خلال الحروب الروسية في سنوات (1769-1774-1789م)، وعندما غزا نابليون مصر سنة 1798م، قطعت الجزائر علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا تضامنا مع الدولة العثمانية، وأغلقت مراكزها التجارية بسواحل القالة وعنابة، كما أسّرت البحارة الجزائريون مركبتين فرنسيتين²⁴.

ما يؤكد إستقلالية الجزائر التام عن الدولة العثمانية هو إسم الجمهورية الجزائرية في غالب نصوص المعاهدات وفي المراسلات بينها وبين الدول الأخرى، وفي حروب الدولة العثمانية ضد التكتلات الأوروبية، تتصرف الجزائر كجزء من الخلافة العثمانية، وفي الظروف العادية تتعامل مع الدولة العثمانية بكل إستقلالية وسيادة.

وفي سياق الحديث عن هذه الإستقلالية نذكر بعض الشهادات من مؤرخين غربيين عن تلك الجزئية وعن إستقلالية الجزائر وسيادتها. يشير الكاتب الفرنسي "دي قرامون": "لقد كان الديوان يتخذ القرارات بكل سيادة فيعلن الحرب، ويعقد السلام ويوقع المعاهدات، ويقيم الأحلاف بدون أن يتساءل عما إذا كانت تلك القرارات المتخذة موافقة أو مخالفة لسياسة الباب العالي"²⁵.

أما المؤرخ "كات" فيورد في كتابه تاريخ الجزائر: "...طوال القرن السابع عشر كانت الجزائر منهمكة في حروب ضد دول كبرى: فرنسا، اسبانيا، انجلترا... فأما علاقاتها مع الباب العالي فتكاد تكون منعدمة"²⁶.
ويذكر المؤرخ "غارو": "إن تبعية الإيالة المغاربية خاصة الجزائر للخلافة العثمانية مجرد تبعية إسمية"²⁷.

لقد أعطى أحد نبلاء فرنسا، "دوغراماي" وهو في طريقه سنة 1619م إلى إسطنبول في مهمة رسمية إنطبعا حيا عن مفتاح عظمة الجزائر في تاريخ البحر الأبيض المتوسط، فيقول: "مدينة الجزائر ذلك السوط المسلط على العالم المسيحي! انهارعب أوروبا ولجام ايطاليا واسبانيا وصاحبة الأمر في الجزر"²⁸.

والجزائري وهي في أوج قوتها قامت بمبادرات جديرة في قضايا البحر الأبيض المتوسط سواء بالنسبة للأوروبيين أو للحكومات التابعة للخلافة العثمانية إذ لم يكن أي حدث يقع في حوض البحر الأبيض المتوسط من دون أن تشارك فيه البحرية الجزائرية.

ب. المعالم العسكرية:

إتسع نطاق المساعدة الجزائرية للدولة العثمانية من خلال طلب السلطان مراد الرابع (1623-1639م) من الأسطول الجزائري المشاركة في الحرب ضد جمهورية البندقية سنة 1630م فذهب الأسطول بقيادة علي بتشين وهو يتكون من عشرين سفينة²⁹، وبسبب العواصف البحرية إضطرت البحارة إلى النزول بالبر فداهمتهم قوات البنادقة وألحقت بهم الهزيمة فقتل وأسروا المئات من البحارة الجزائريين وكانت هذه الحادثة بمثابة ضربة قاسية لرياس البحر³⁰.

وتمكن الأسطول التجاري والبحري للجزائر في عهد بابا علي شاوش (1710-1718م)، من المشاركة إلى جانب الأسطول العثماني في حربه ضد البنادقة والنمسا خلال سنوات (1714 1718م)³¹.

وإذا ألقينا نظرة عامة عن حجم المساعدات البحرية الجزائرية للدولة العثمانية خلال الفترة الممتدة من 1771-1827م، نلاحظ عددا من النتائج المهمة، فمنذ تصريح قيصر روسيا: "كاترين الثانية (cathrine II)" في صرختها الموجهة للدولة العثمانية سأحرق عاصمة السلطنة من الجهات الأربعة دفعة واحدة³² وقد بدأ بعد ذلك لهيب الثورات ينتشر في الأقاليم الأوروبية التابعة للدولة العثمانية بتحريض من روسيا وبعض القوى الأوروبية.

ففي عهد السلطان مصطفى الثالث (1757-1773م) أرسلت الجزائر أسطولا بقيادة الرايس علي يونس الذي مكث في خدمة السلطان زهاء خمسة سنوات، كما دعمت القوات البحرية العثمانية بأسطول ثاني بقيادة علي الحاج محمد وثالث بقيادة الحاج سليمان، ونستشف حجم هذه المساعدات من خلال رواية الشريف الزهار: "أنه في سنة 1228هـ/ 1813م، سافرت المراكب الجهادية (الجزائر) بقصد الغزو على الكاريك (اليونانيون) ومعهم

القبطان حميدو، فأخذو منهم (الثوار اليونانيين الذين كانوا ثائرين على الدولة العثمانية من أجل الاستقلال عنها)، أكثر من عشرين مركبا مسوقة بالقمح والسلع، منها ثلاثة كرايط (كورفيت) من غير مدافع...³³.

وتزامن عهد السلطان محمود الثاني بقيام الثورة اليونانية عام 1820م حيث ساندت بعض الأطراف الأوروبية الثوار بالسلاح والرجال والعتاد، إذ تطوع حشد كبير من سكان ألمانيا وبولونيا واليونانيين اللاجئين بسويسرا، واتخذت الحرب صبغة صليبية، ولم يتوان الأسطول الجزائري في حماية السلطة من الأخطار المحدقة بها، فأرسلت الحكومة الجزائرية أسطولا يتكون من عشرة سفن، بقيادة الحاج علي رايس والحاج خليل.

ونلتمس قيمة الدعم العسكري الجزائري للبحرية العثمانية من خلال رسالة بعث بها مسؤول رفيع المستوى يصف البحارة الجزائريين: "في هذا البلد (الدولة العثمانية) مسلمون ومسيحيون يمجدون عظمة إيالة الجزائر، بسبب شجاعة محاربيها وأبطالها ومدى سمعتهم في البر والبحر، والذين سجلوا إنتصارات عديدة على كثير من الأمم، لكل المسلمين يدعون الله لتسهيل قدوم سفن هؤلاء صباحا ومساءً"³⁴.

وتشير رسالة أخرى موجهة إلى باشا الجزائر من طرف الحاج علي قبودان الأسطول الجزائري، يخبره فيها بأن السفن الجزائرية موجودة بالدردانيل بطلب من السلطات العثمانية، إلى جانب وصول سفينة من نوع البريك بقيادة الحاج سليمان رايس، في حين أبحرت سبعة سفن جزائرية إلى القسطنطينية بغرض الإصلاح والترميم وتسليحها من جديد، وفي حالة نشوب الحرب سيكون الأسطول الجزائري في حالة الإستعداد.

إن أهم ما يلاحظه الدارس للتاريخ الدبلوماسي للجزائر خلال العهد العثماني، هو غيرة الجزائر على مصالح المسلمين في الغرب والشرق.

ومن باب الطاعة للتقاليد الإسلامية، الإسراع لمساعدة المسلمين من الأخطار، وهو المبدأ الأساسي للجهاد.

وقد أدّت هذه الغيرة إلى تدخل الجزائر في كثير من القضايا الشائكة، وإعتبرت مسألة الدفاع عن مصالح الأمة الإسلامية واجب مقدس، وفي هذا السياق أورد المؤرخ الأمريكي "وليم سبنسر" نصا على هذه الغيرة: "إن مدينة الجزائر كعاصمة لدولة مستقرة قوية في شمال إفريقيا، قد مثلت ومعها إلى جنبها تونس وطرابلس، القوة الإسلامية العثمانية القاطعة المهمة في مصارعة الصليبية كالشفرة الحادة النافذة بعمق في العالم الإسلامي"³⁵.

وفي إحدى الرسائل كتب "جان لوفاشي (J. Levacher)"³⁶ في سنة 1681م: "لا تزال قوة البحرية الجزائرية تساعد قراصنة سلا في النزول بموانئ مدينة الجزائر، وبها تباع غنائمهم التي أخذت من الفرنسيين"³⁷، وعندما تدخلت شخصا بخصوص هذه المظالم لدى السلطات، كانت إجابتهم بأن هؤلاء القراصنة إخوانهم في الدين، ويمكن في كثير من الحالات تقديم لهم يد العون والمساعدة، وإذا إقتضت الظروف أمددناهم بسفننا عند الحاجة"³⁸.

بيّنت الحملة الفرنسية على مصر (في 17 محرم 1213 هـ - 2/ جويلية 1798م) عن قرب إنتهاء الدولة العثمانية كقوة عظمى ضعف دورها في صنع العلاقات الدولية الذي شرع ينتقل إلى الدول الأوروبية، كما أثبتت الحملة عجز الدولة العثمانية عن حماية أراضيها من خطر التنافس الإستعماري الذي أخذ يحتدم بين تلك الدول.

ومع هذا فإن الحملة كانت بمثابة إمتحان عسير للباب العالي حول مدى متانة علاقاته بالإيالات المغاربية وقدرته على إملاء إرادته على ولايتها، وإذا كان ذلك شأن الإحتلال الفرنسي لمصر (1798-1801م) بالنسبة للدولة العثمانية، فقد كان بالنسبة للإيالات المغاربية تهديدا مباشرا لإتصالاتها بالعاصمة

العثمانية ولحرية تنقل رعاياها نحو المشرق، كما كان دليلا لإثبات المجال الجيو سياسي الذي إحتلته تملك الإيالات على خريطة المخططات الإستعمارية للدول الأوروبية.

وقد حكمت ثلاثة عوامل رئيسية دور الجزائر في إطار التضامن مع الباب العالي، تمثل أول تلك العوامل في علاقة الجزائر بالدولة العثمانية باعتبارها إحدى إيالاتها، وتمثل العامل الثاني في موقع الجزائر الجغرافي الذي جعلها قادرة على التحكم في الحركة البحرية بين شرقي وغربي البحر المتوسط، وبالتالي قدرتها على التأثير في الوجود الفرنسي في مصر، أما العامل الثالث فقد تمثل في العلاقات التي كانت بين الجزائر وفرنسا، إذ كانت الجزائر دائنة لفرنسا بمبالغ مالية ضخمة، علاوة على أن فرنسا قد كانت لها مصالح واسعة على السواحل الجزائرية وحاولت دوما المحافظة عليها لحماية شركاتها من الأضرار التي يمكن أن تلحق بها في حالة تهديد تلك المصالح³⁹.

لقد أدرك الباب العالي بعد تقويمه لتلك العوامل، أهمية الدور الذي يمكن للجزائر أن تلعبه في الحرب الدائرة بينه وبين فرنسا.

وفيما يبدو أن رؤية الباب العالي كانت غير مطابقة لرؤية مصطفى باشا الذي كان إهتمامه منصبا على الجانب المتمثل في المصالح الجزائرية الفرنسية. أما بخصوص الإجراءات العسكرية فقد رأى الباب العالي ضرورة قيام الأيالة بها بغرض تعزيز الحصون وإعداد الجنود من أجل تقوية الدفاع عن الجزائر. وكذلك إرسال السفن الحربية إلى عرض البحر المتوسط لإعتراض السفن الفرنسية المتنقلة بين مينائي طولون والإسكندرية.

وبعد أن قرر الباب العالي إعلان الحرب على فرنسا وإرسال الجيش العثماني إلى مصر لتخليصها بالقوة من سيطرة نابليون، تخوفت فرنسا أن تحذو الجزائر ومعهها (تونس، طرابلس) حذوه وتعلن الحرب هي الأخرى عليها.

ومن ثم أرسلت وزارة الخارجية الفرنسية في 19 ديسمبر 1798 م منشورا إلى القناصل الفرنسيين في الأيالات الثلاث دعيتهم فيه إلى إبلاغ ولايتها بأن إعلانهم للحرب على فرنسا إلى جانب الباب العالي سيجبرهم إلى التحالف مع بريطانيا وروسيا اللتين تسعيان للسيطرة على البحر المتوسط، مما يقلص نفوذ الإيالات المغاربية ويحرمها من مصادر دخل غنية وفي مقدمتها موارد القرصنة⁴⁰.

لقد جاء التحرك الفرنسي متزامنا مع تحرك الباب العالي الذي وصل مبعوثه إلى الجزائر في نفس اليوم الذي كتب فيه المنشور الفرنسي. وفي فرمان الذي حملة المبعوث العثماني أمر الباب العالي حاكم الجزائر بإعلان الحرب على فرنسا والقبض على قنصلها وجميع رعاياها وسجنهم⁴¹، وذكر فرمان أن الهجوم على مصر يعد إعتداء صارخا على الدولة العثمانية وإنتهاكا لحقوق رعاياها المسلمين الذين أصبح عدد كبير منهم أسرى في أيدي الفرنسيين، ولهذا فإن الإيالة ملزمة بالمشاركة في الحرب التي تخوضها الدولة العثمانية ضد فرنسا، وذلك بإرسال سفنها الحربية إلى البحر الأبيض المتوسط لمشاركة الأسطول العثماني في البحث عن السفن الفرنسية واحتجازها⁴².

قررت الجزائر قطع علاقاتها مع فرنسا وإعلان الحرب عليها تنفيذا لأمر الباب العالي، والقبض على القنصل دومينيك مولتيديو (De Marie Moltedo) (1798-1800 م)⁴³ والرعايا الفرنسيين في مدينة الجزائر. كما أرسلت التعليمات لباي قسنطينة بإيقاف الأعوان الفرنسيين في القل وعنابة والقاله وحجز ممتلكاتهم، بالإضافة إلى رسائل الداى مصطفى (1798-1805 م) لكل من تونس وطرابلس والمملكة المغربية، يستنهضهم ضد فرنسا⁴⁴.

أرسل نابليون بونابرت (Napoléon) مبعوثا خاصا إسمه ديبوا تانفيل (Dubois-Therville)⁴⁵ ومعه رسالة الى الداى مصطفى باشا لعقد السلم:

"...من بونابرت القنصل الأول للجمهورية الفرنسية إلى مصطفى باشا داي الجزائر: أيها السيد الأمجد الأعظم...إن حالة الحرب بين البلدين ليست من مصلحتنا... وإني أبعث إليكم بالمواطن تانفيل مع تفويض مطلق لإعادة العلاقات السياسية والتجارية بين الدولتين..."⁴⁶.

والملاحظ أن القنصل تانفيل قد أكد في العديد من التقارير المرسلة إلى باريس أهمية إعادة العلاقات بين فرنسا والجزائر، والفوائد الكبيرة التي ستجنيها فرنسا من وراء ذلك.⁴⁷

وتجدر الإشارة هنا أن بونابرت قد كلف القنصل تانفيل بإخبار الداي بأنه أمر بإطلاق سراح أكثر من ألفي مسلم كانوا محتجزين في جزيرة مالطة التي استولت عليها القوات الفرنسية في 13 جوان 1798 م.⁴⁸

وقد تمكنت فرنسا من عقد هدنة غير محدودة مع الجزائر في 31 أوت 1800 م وسمحت معاهدة الصلح بين البلدين للشركات الفرنسية ومراكزها التجارية بممارسة نشاطاتها بصفة رسمية في الجزائر، كما أوقفت جميع العمليات العسكرية ضد فرنسا وأعيد الاعتبار لقنصل فرنسا في مدينة الجزائر.

ومن المعارك المهمة بالبحر الأبيض المتوسط والتي كان فيها للجزائر مساهمة فعالة ولو بعدد قليل من السفن والجنود، معركة نافارين سنة 1827 م التي أسفرت عن تحطيم الأسطول الجزائري، فقد أكدت مساهمة الجزائريين في هذه المعركة على مدى الروابط الروحية والإلتزامات الأدبية التي كانت تشد الأقطار الإسلامية إلى بعضها ضمن رابطة الخلافة العثمانية.⁴⁹

الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن إنضمام الجزائر إلى الخلافة العثمانية مثل مرحلة إنتقالية جديدة في تاريخ الجزائر، إذ شهد ميلاد دولة جزائرية جديدة ممتدة تقريبا على نفس الحدود الجغرافية التي تمتد عليها الآن، كما عرفت هذه المرحلة بروز الشخصية الجزائرية، وإكتساب مكانة وهيبة دولية من خلال وجود سلطة مركزية برئاسة الداى الذي هو رئيس الدولة الجزائرية والقائد العام للجيش، كذلك وجود تمثيل دبلوماسي وعقد المعاهدات والإتفاقيات بإسم دولة الجزائر.

وفيما يخص العلاقة بين الجزائر والدولة العثمانية فهي علاقة تبادل المنافع وتضامن في مواجهة العدو المشترك، وقد اختلفت العلاقة باختلاف مراحل الحكم العثماني بالجزائر، حيث تحكمت فيها الظروف الإقليمية والدولية، فقويت بقوة الدولة العثمانية وضعفت بضعفها.

الهوامش:

1. Pélissier (R.D), Annales algériennes, Paris, 1836 , T1 P, 16.
2. Venture (de paradis) , "Alger au 18^e siècle" in R.A, n 41, 189, P89.

3. تتجلى الصبغة المدنية في أن الداى كان دائما يلجأ إلى العلماء لحل المشاكل المستعصية، ولا يعارضهم في أي حل يتخذونه، أما الصبغة العسكرية فتتمثل في الديوان الذي يعين الداى أو يعزله، والذي يتكون من غالبية عسكرية.

4. أحدث هذا المنصب رياس البحر بعد أن قضوا على سلطة الأغوات، ويمتد عصر الدايات من سنة 1671 م إلى سنة 1830 م. وأولهم الحاج محمد باشا وآخرهم حسين.

5. هؤلاء الوزراء هم مساعده المقربون، يختارهم بنفسه من الأتراك العثمانيين وعددهم سبعة:

- أ. الخزنلجي أو الخزندار، وهو مسئول المالية، يساعده أربعة كتاب يسمى رئيسهم باش دفتر.
- ب. الأغا، وهو رئيس الجيوش البحرية.
- ت. وكيل الحرج، وهو قائد البحرية.
- ث. البيت مالجي، وهو المكلف بالمواريث.
- ج. خوجة الخيل، وهو الضابط الذي يشرف على الشرطة العامة.
- ح. شيخ الإسلام، وهو المفتي الحنفي، وكان في البداية يعين من اسطنبول.
- خ. الكتاجي، وهو كاتب الدولة، له درجة شيخ الإسلام ومن شروطه أن يكون فقيها وعالما، وقد يعين الكتاجي من الأهالي (يذكر حمدان خوجة أن والده كان يشغل هذا المنصب).

6. المقصود بالحاشية :هيئة الموظفين التي تضم عناصر تركية يتقاضون نفس الراتب وأهمهم:

- أ. خوجة الباب، يفتح أبواب القصر ويغلقها.
- ب. الأشجي باشي، وهو رئيس الطباخين.
- ت. خوجة السر، وهو الكاتب الخاص الذي يستعين به الداوي.
- ث. خوجة الرحبة، يشرف على أسواق الحبوب.
- ج. خوجة الملح، هو المسئول على تنظيم أسواق هذه المادة.
- ح. قائد المرسى، هو الذي يراقب واردات البلاد وصادرتها على مختلف أنواعها.

7. الأمير محمد، الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، شرح وتعليق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، ط2، بيروت 1964، ج 1، ص: 109.

8. هو قائد الكتيبة، ولا يدخل الديوان إلا بعد أن يبرهن على تجاربه ومؤهلاته في الجيش البري والبحري

9. حمدان، بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزيري، ط2 ش.و.ن.ت الجزائر 1982، ص121.
10. كمال، بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر 2006-2007م، ص66.
11. Serres, (j) La Politique turque en Afrique du nord sous la monarchie de juillet , goutheser , paris, p10.
12. IBID.
13. IBID, P194.
14. ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، م.و.ك، الجزائر ط2: ص23.
15. جون، ب، وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الرائد للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص387.
16. يحي، بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ج2، ص43.
17. Mahfoud, kaddache, L'Algérie durant la période ottomane, o.p.u, Alger 1999, p99.
18. مولود قاسم، نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، ط1، دار البحث للطباعة والنشر، الجزائر 1985، ج1، ص85.
19. ناصر الدين، سعيدوني، منطلقات وآفاق للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر 2009، ص171.
20. شريف، الزهار، مذكرات شريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تحقيق، أحمد توفيق المدني، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص162.
21. عبد الرحمان، الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، لبنان 1980، ج3، ص328-331.
22. ناصر الدين، سعيدوني، منطلقات وآفاق المرجع السابق، ص172.
23. عبد الرحمان، الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص334.
24. يحي، بوعزيز، المرجع السابق، ص157، 158.

25. Grammont(H.D.de), Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), paris ,E.leroux,1887, p126.
26. Cat,(E), Petite histoire de l'Algérie, Tunisie, Maroc, Adolphe Jourdan, Alger, 1889 T1, p301.
27. Garrot, (H), Histoire générale de l'Algérie, Alger, 1910, p659.
28. Jean, baptiste, de gramye, Les cruautés exercées sur les chrétiens dans la ville d'Alger en barbarie, paris, 1620, p 205 .
29. حنيفي، هلايلي ، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر 2007م، ص 119.
30. Grammont , OP.CIT , p 187.
31. Belhamissi (Moulay), Histoire de la marine algérienne 1516-1830, Alger.1983. p401.
32. IBID.
33. الزهار، المصدر السابق، ص 109.
34. رسالة بتاريخ 3 شوال 1236هـ/4 جويلية 1821م، نشرها دوفو تحت رقم 1 في:
- Devoulx, coopération de la régence d'Alger à la guerre de l' indépendance grecque , in R.A , (N1) ,1856-1857, pp 133,134.
35. مولود قاسم، نایت بلقاسم، المرجع السابق، ج2، ص 339.
36. تقلد الأب جان لوفاشي منصب قنصل بالجزائر ما بين سنوات (1673-1683م) وتدخل في حل الكثير من المشاكل العالقة بين الجزائر وفرنسا.
37. كانت (سلا) معقلا لحركة الجهاد البحري بالمغرب وقد توسع النشاط البحري لمجاهدي هذه المنطقة في مطلع القرن السابع عشر، ويرجع هذا التوسع إلى عدة عوامل منها موقع (سلا) الجغرافي وتعاون مجاهديها مع البحرية الجزائرية أنظر: إبراهيم، حركات، المغرب عبر التاريخ، ط 2، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة 1984، ج 2 ص ص 284-292.
38. Belhamissi, op.cit, T2 P 391.
39. حول نشاط الشركات الفرنسية في الجزائر، أنظر:

- محمد العربي، الزيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الإحتلال (1830-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1972، ص ص 193-253.
40. خليفة، حماش، "كشاف الوثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين في الجزائر وتونس"، المجلة التاريخية للدراسات العثمانية، ع 13-14 زغوان : مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، أكتوبر 1996، ص 288-448.
41. كان عدد الرعايا الفرنسيين الموجودين في الجزائر عند إعلان الحرب، ثمانية عشر رجلا وخمس نسوة. أما أعوان الوكالة الإفريقية في شرق البلاد فكان عددهم 95 شخصا بينهم أربعة عشر مسئولاً إدارياً، أكثر تفاصيل أنظر: جمال، قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية 1830-1790 م، منشورات متحف المجاهد الجزائر 1999، ص 99.
42. -DEVOLUX, le rais hamidou, A. Jourdan, Alger, 1859, pp35-37
43. القنصل : ماري مولتيديو عمل قنصلا عاما لفرنسا بالجزائر ما بين (1798-1800م).
44. جمال، قنان، المرجع السابق، ص 98.
45. عين فرانسوا ديبيوا تانفيل قنصلا عاما وقائما بأعمال الجمهورية الفرنسية في يوم 5 أفريل 1800 م واستمر في هذا المنصب إلى غاية 1814 م.
46. Devoulx, Les Archives du consulat de France A Alger, Alger 1865 PP 137-139
47. Gaid (mouloud), L'ALGERIE sous les les turcs, Alger, éd, Mimouni, 1991, p168.
48. Berbrugger, la régence d'Alger sous le consulat et l'empire, in R.A (N19), 1875p124.
49. ناصر الدين، سعيدوني، ورقات جزائرية. دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2 دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009 ص ص 310.